المبدأ 33

أسرع وسيلة لاصطياد السمك، أن تعكر مياهها

المغزى:

عندما تكون المياه ساكنة فإن السمك يرى الأشباك المنصوبة له، ولكن عندما يعمد الصّياد إلى تعكير المياه فإنه يُرغم السمك أن يطفو على السطح، وبالمثل يمكن القول عن العلاقات الإنسانية وخاصة مع الخصوم والمنافسين، عندما تكون الأحوال ساكنة فإن خصومك لديهم الوقت والمجال كي يخططوا ليضعوك تحت سيطرتهم، بينما لو بادرت أنت إلى «تعكير المياه» فإنك تجعل خصومك يتصرفون بإرباك قبل أن يكونوا جاهزين. وأفضل طريقة لأن تسرق منهم زمام المبادرة هي استغلال العواطف الخارجة عن السيطرة: كالكبرياء، الغرور، الحب، الكراهية، الغضب، القلق، الخوف، الرعب، حيث من شأن هذه الانفعالات أن تكون «زيت عجلاتك» في جعلها تعمل بشكل أسرع، إذ

كلما زاد غضب خصومك - مثلاً - قلّت قدرتهم على التحكم فيقعون في الزوبعة التي أثرت غبارها وينحرفون... ذوو السلطة الأقوياء يدرّبون أنفسهم على عدم الانفعال وعدم أخذ الأمور على محمل شخصي وعلى التحكم بردود أفعالهم، وعندما يحسنون ذلك فإنهم يضعون أنفسهم في مركز نفوذ هائل.

المثال

«هل هناك حدود للعلاقات الإنسانية؟ هل هناك علاقات ود مفترضة فوق علاقات الصحبة اليومية؟»

بهذه التساؤلات يبدأ ريّان حديثه عن نموذج من العلاقات السائدة بيننا، ولكن تطور معه الأمر من علاقة ودودة إلى قطيعة رغم صلة القربة التي تجمعهما، فزوجته منال على علاقة وثيقة بشقيقتها نهاد، التي تسكن وإيّاها في نفس الحي، تزورها دائماً ونهار العطلة الأسبوعي تلتقي العائلتان لقضاء أجمل الأوقات معاً، ولكن يبدو أن العلاقات أخذ يشوبها نوع من الفتور، فهو (ريان) لم يعد يرق له رفع الكلفة الزائد بينهما، فأخذ يُسمع زوجته ملاحظات لا تنتهي عن زوج شقيقتها: أخطأ في كذا!! وتصرف كيت!! وأنه يتجاهل الذوق في هذا وذاك.. وبالمثل كان زوجة الشقيقة يردد على مسامع زوجته (نهاد) ملاحظات ساخرة عن عديله ريان، إلى أن تراكمت في النفوس

صغائر من الملاحظات والانتقادات واللمزات حتى انفجر الموقف ذات يوم وأقسم كل منهما أنه لن يدخل بيت الآخر وأخذ كل واحد منهما يلقي على مسامع الآخر موعظة عن أهمية الاحترام والكرامة.. اعتقدت الشقيقتان أنها زوبعة وتمر، لكن كلاً من الرجلين مصرّ على موقفه ويرفض أيّ منهما مصالحة الآخر، وكلما مرت أسابيع تحول العناد إلى ضغينة وانقطعت الشقيقتان عن التزاور فيما بينهما حتى صارت القطيعة سيدة الموقف.

بتقديرنا أن العلاقات لا تتمتع بحصانات نهائية فقد يكون هناك إبقاء على علاقة معينة أو حرص على علاقة أخرى، ولكن أن تضغي من نفسك كثيراً على علاقة قائمة فقد يؤدي ذلك إلى تهاون وتنازلات شخصية قد لا يقبلها أي الطرفين. صحيح أن أهم العلاقات الإنسانية هي علاقات القرابة والأخوّة والمصاهرة، لكن حتى هذه العلاقة بها قدر من المساواة وفي حال أُريد لها التوازن يجب أن لا يسمح لأطرافها ممارسة أي نوع من أنواع «الفوقية» واختراق الحدود. ويبدو أن صفو العلاقات يكدره دائماً العواطف الخارجة عن السيطرة، فكل إنسان يعتبرها وسيلة تسجيل موقف، إعلاء من شأن، تعزيز كرامة.. بينما يمكن بقليل من التدرب على ضبط الانفعال والتحكم بردود الفعل تجعل الواحد يصطاد سمكاً بدلاً من أن يجعلها تهرب منه.

الملخص:

في مواجهة عدو حامي الرأس يكون الرد الأمثل عدم الرد، لأن لا شيء يثير الغيظ لدى الآخر أكثر من رجل يتمتع ببرودة أعصاب، وعند اللعب على «عواطف الناس» كن حريصاً، فليست كل الطيور يسهل صيدها ويؤكل لحمها.

المرادف:

- على العاهل أن لا يجرد جيشاً بسبب الغضب، فالقائد العظيم لا يبدأ حرباً انطلاقاً من غيظ. (فيلسوف صيني من القرن الرابع ق.م.)

- إن كان خصمك حامي الطبع فحاول أن تزعجه، وإن كان متغطرساً فحاول أن تشجع أنانيته، لأن الشخص البارع هو من يخلق وضعاً يجعل العدو يتحرك بموجبه (يغويه، يبقيه متحركاً، يلوح له بالطعم ثم يهاجمه بقوة منتقاة). (فيلسوف صيني)

- احذر الهم والغضب واليأس فهي أعدى أعدائك. (ميخائيل نعيمة)

- إن نفوس الناس معادن، ومن المعادن ما يعلو على كل صدأ، ومنها ما يعلو عليه الصدأ. (الأديب المصري طه حسين)

■ ■ ■